ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Maged Mushir,

Batoul Hussein Maedi

Wasit University / College of Education for Human Sciences

Email: E-mail: batybaty04@gmail.com

Keywords:

dawn of dynasties, architecture, archaeological excavations

Article info

Article history:

Received 15.Oct.2022

Accepted 17.Dev.2022

Published 1.Feb.2023

Civilizational data for the era of the dawn of dynasties

A B S T R A C T

The era of the dawn of the dynasties left a distinct civilizational and cultural heritage, as the landmarks of this civilization were found in many cities, the most famous of which are the cities located within the Hamrin Hills, such as Tell Khafajah, Tell Salima, Tell Asmar, Tell Ajrab and others. Architecture, art, and religious culture, and among the most prominent civilizational data of that period are the architectural remains that indicated the extent of development that coincided with that important period in the history of Iraq.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol50.Iss1.3429

المعطيات الحضارية لعصر فجر السلالات في الالف الثالث قبل الميلاد

***الباحثة: بتول حسين معيدي أ.د ماجد مشير الخطاوي**

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص

ترك عصر فجر السلالات تراثا حضاريا وثقافي مميز إذ وجدت معالم هذه الحضارة في مدن عديدة وأشهرها المدن الواقعة ضمن تلال حمرين مثل تل خفاجة وتل سليمة وتل أسمر وتل أجرب وغيرها كانت هذه المدن عامرة بمبانيها ومعالمها وقصورها وأسوارها وهو ما كشفته التنقيبات الأثرية من معطياتها الحضارية القيمة في العمارة والفن والثقافة الدينية ومن أبرز المعطيات الحضارية لتلك الفترة هي المخلفات المعمارية التي دلت على مدى التطور الذي تزامن مع تلك الفترة المهمة من تاريخ العراق.

الكلمات المفتاحية: فجر السلالات ، العمارة ، التنقيبات الأثرية

المقدمة

يعد عصر فجر السلالات من العصور المهمة في تاريخ العراق القديم جاءت هذه الدراسة للإجابة على العديد من التساؤلات المفترضة التي تتعلق بدراسة هذه المنطقة من خلال معطياتها التاريخية وطرح تساؤلات مهمة وتوضيحها، وبيان مدى تأثرها ودور المعطيات التي تم التوصل اليها من خلال التنقيبات الاثرية على البعد التاريخي للمنطقة والتغيرات السياسية والثقافية التي حصلت آنذاك

تطرقنا في هذه الدراسة الى اهم المعالم الحضارية وكيف شيد الانسان القديم المواقع الاثارية ومنها المعابد والقبور واعطينا شرحا توضيحيا لبيان الامكانية المادية والعقلية التي استخدمها الانسان القديم

اولا: عمارة المعابد

تمثل علاقة الإنسان العراقي بالأرض والعمارة علاقة وثيقة تلك العلاقة ارتبطت بالزمان ولكون الأخير خاضعاً إلى متغيرات عديدة وأنّ لكل فترة زمنية ظروفاً وتطورات مختلفة خاصة بها.

ويبدو أن التغيرات العمرانية التي طرأت على المباني الخاصة التي تمثل القصور والمعابد الدينية، كانت نتيجة قيمة لتلك المتغيرات الزمانية بمجمل أحداثها، وقد نجد أن تلك التغيرات شملت مواد البناء وهندسة البناء بل تدخلت في بعض الأحيان ذلك الرموز الإلهية والكونية (كريمر،1992 :44).

فارتكزت العمارة في عصر فجر السلالات بشكل أساسي على المعابد وطرق بنائها، فقد شاع في تلك الفترة أنواع من طراز البناء المعابد المشيدة على وفق المخططات مختلفة تمثل الاول بأرضية رباعية الأضلاع والنوع الآخر بمخططات أرضية بيضوية الشكل، أما النوع الثالث فكان يحتوي على مخططات دائرية الشكل وهي مبانٍ دائرية مركبة (فيوجي ، 1980: 40).

أخذت المعابد تطغي على غيرها من المباني كما كانت تتخذ أشكالا مختلفة تبعاً للعصر الذي شيدت فيه إذ كانت تحتوي على جوانبها الغرف المقدسة والتي امتازت بمداخلها التي كانت تختلف من معبد لآخر ويدل ذلك على التنوع الحضاري الذي كان موجوداً في ذلك العصر(بصمه جي، 1953 :7)، وقد انتشرت تلك الغرف في تل أسمر وتل سليمة بشكل أساسي تم اكتشافها من قبل البعثة الألمانية عام 1902 من جامعة توبنغن. (باقر، 1979: 25)

واللافت أن تصميم المعابد في تلك الفترة يشبه إلى حدً ما تصميم الدور السكنية, ويبدو أنه ناتج عن تفكير تلك الأقوام السابقة أو رؤيتها، وعلى الرغم من أن الآلهة قد استحوذت على عقول البشر وحياتهم اليومية نضراً للقدسية التي كانت تعطى لهم, خصوصاً أنها تعيش حياة مشابهة لحياة الجنس البشري من خلال السكن والأسرة لذلك كان البناء أو بناء المعابد يشبه المساكن هو ما أرادت تلك الأقوام بنائه لتصورها أن الآلهة يجب أن يتوفر لها دار للسكن في الأرض كما هو في السماء, فأظهرت التنقيبات الآثارية التي قامت بها البعثة الأثرية المشتركة بريطانية والمعهد الشرقي للآثار في شيكاغو عام 1967, في تل جوخة في محافظة ديالى شمال قضاء مندلي، أن المعابد التي أسست في عصر فجر السلالات الأول عثر عليها في مناطق مرتفعة مطلة على نهر دجلة وكان أشهر تلك المعابد المرتفعة معبد (الآلهة عشتار) , وكان لهذا المعبد دورين رئيسيين الأول سجل لدى الآثاريين بحرف (H) ويعني ان المعبد شيد على الأرض الأساسية البكر، والحقيقة هذه، المعبد هو بستة أدوار وبنائه على مدار ستة قرون التي اعتبرت فترات عصر فجر السلالات (الاعظمي، 1998: 61) ، أما الدور الثاني فقد ذكر لدى الآثاريين بحرف (G) وشيد هذا المعبد فوق المبنى الأول ليكون بنفس مخطط البناء الذي شيد به الأول

وتم العثور على بقايا فخار في هذا الموقع تخص هذه المدة تعود لعصر فجر السلالات الأول والثاني والثالث تعود لمعبد عشتار كما كانت المنحوتات التي وجدت تعود للطراز السومري (باقر، 1979: 28).

أن تخطيط المعابد قد وصل ذروته في عصر فجر السلالات الثاني نظراً للتطور العمراني, فأصبح تخطيط الأرض أكثر وضوحاً، فقد عثرت البعثة الفرنسية عام 1978, في خيوط القاسم وفي تل اسمر على معابد ذات شكل مربع أطلقوا عليه تسمية المعبد المربع،.

وفي السياق نفسه فقد عثرت البعثة الفرنسية قرب هذه المعابد على مقابر تعود إلى ذات العصر، وعليها نقوش الأرواح الشريرة وبعض التعاويذ ورسوم تمثل الآلهة, كما أن أن المعابد بكل تفاصيلها وأدوارها المختلفة صممت على أشكال غير منتظمة ولكن بنفس فكرة الفناء أو المساحة المركزية والتي عادةً كانت تنتشر فيها الغرف الخاصة بالمعبد كما شملت مساكن رجال الدين أيضاً(الاعظمي، 1998: 264).

وكشفت التنقيبات الأثرية في تل أجرب من قبل البعثة الفرنسية تصميم المعابد في عصر فجر السلالات الثالث قد وصل إلى الذروة في الهندسة والتقدم اعمراني في بناء المعابد حيث شمل إضافات العديدة من الغرف فضلاً عن غرف الكهنة أو رجال الدين، فضلاً عن هناك غرف للخزن، وصار المعبد ذا غرف متعددة المزارات، كما شمل برجين يبرزان على واجهة الجدار الخارجي ببروز قليل ويليها غرفة المدخل التي تنتهي بالساحة المركزية التي تحيط بها قاعات المعبد، فيما شمل المعبد دكة خاصة لتقديم القرابين تتقدم دكة الآلهة وهي مذبح خاص للآلهة(جرك، 1998: 9) .

التصميم السابق الذكر عثر عليه ضمن التنقيبات الأثرية التي حصلت في تل اجرب من قبل البعثة الفرنسية التي كانت تحت إشراف عالم الآثار جان لويس هوت (Jean Louis Huats) عام 1976, وأثارت أيضاً التنقيبات في (معبد شارا), لذي تم الكشف عنه أثناء التنقيبات التي أجريت في موقع تل أجرب ضمن مواقع منطقة ديالى, ويذكر أن المعبد مخصص للإله (شارا) منقوشة على إناء من الحجر تم العثور عليه داخل المعبد, يعود تاريخ تشييد المعبد إلى عصر فجر السلالات الثاني, المخطط الأرضي للمعبد مربع الشكل يتألف ساحة مركزية تحيط بها مرافق المعبد, ويتألف من عدة غرف لسكن الكهنة وكمقر إداري, يحيط بالمعبد سور مربع الشكل تقريباً بسمك (5.5 م), يتخلل بدن السور عدد من الأبراج, يوجد في المعبد مزاران يقع احدهما في الجانب الشمالي من المعبد, بطول (19 م), وغرفة مدخل, والمزار من نوع المزارات (الصوامع) ذات المحور المنكسر, والمزار الثاني ويتألف من خلوتين ومن نوع المزارات ذات المحور المنكسر, ويوجد في المعبد مذبح يتألف من طبقتين, وله سلم صغير(Ann Searight, 1963:64).

وبناءً على ما تقدم يمكننا القول أن هذا المعبد من الممكن أن يعود فترة بناءه إلى عصر فجر السلالات الثاني ومع تطور نظام البناء وتمت إضافة تلك الغرف والجدار والأبراج فيما بعد كنتيجة منطقية للتطور العمراني وعلى هذا الأساس اعتقد بعض الباحثين أنه يعود إلى عصر فجر السلالات .

وفي عام 1977, اكتشف البعثة البريطانية للمدرسة البريطانية التي مقرها بغداد (BSAT) بإدارة (نيكولاس بوستيج) نوعاً آخر من العمران على المعابد وهو المعبد البيضوي في تل أسمر، حيث اخذت المعابد الشكل المذكور وشيدت بشكل مباشر على مصاطب صناعية مرتفعة، وقد رجح الباحثون أن سبب ظهور هذا النمط من المعابد هو المكانة الكبيرة التي حظي بها الجانب الديني مع نهاية عصر فجر السلالات والتي اطلق عليها حريمة وهي (سيادة المعبد)، حيث ظهرت المعابد الكبيرة التي أصبحت حينذاك عبارة عن مؤسسة دينية ودنيوية لإدارة شؤون المدينة(Van Marc, 2004:313).

كما عثر على بقايا ذلك المعبد أذ ظهرت أعمدة مصطبة بأحجار ملونة وقطع مختلفة من الصدف المثلث الشكل التي كانت تحمل سقيفة المعبد كما عثرت على لوحة نحاسية نقش عليها الطائر الأسطوري أنزو(Jacabsen, 1984:125), وهذا التطور العمراني في بناء المعابد كان بالأساس ناتج عن عمق المفهوم الديني لعصر فجر السلالات.

ثانيا :عمارة المساكن

أما فيما يتعلق باقي العمارة في تلك الفترة فيأتي بعد المعابد مساكن زعيم المدينة أو رئيس مجلس المدينة أو الملك، فاحتفظ حكام تلك الفترة بأفكار بسيطة لعمارة مساكنهم فلم يكن هناك في تلك الفترة الملكية ذات التعويض الإلهي والإمبراطورية المطلقة.

لذلك كانت مبانيهم بسيطة وتميزت بأشكال منتظمة تنسجم مع بعض وتكون على مساحات صغيرة ولها أشكال مستطيلة أو مربعة معتمدة في تخطيطها العمراني على النظام الموروث فتكون في عدد من المربعات المفتوحة المحاطة بكل جانب وتلك الجوانب الأربعة على عدد الغرف ذات الأبنية أما أرضيتها صنعت بالطول وتم دمجها وفق نظام خاص لغرض تشكيل مبنى متعدد المرافق، ويحيط بها اسوار قليلة الارتفاع.

ومن المناسب القول أن تلك البعثة قد نوهت عن ذلك الموقع الذي وقالت أنه يعود إلى عصر فجر السلالات الثاني عن وجود مجموعة من المساكن ذات المساحات الصغيرة يحيط بها سور دفاعي بالدرجة الأساس على شكل دائري بقطر حوالي (19) م وسمك (1)م من اللبن المستطيل الحجم بقياس (50 – 56) سم وله مدخل واحد كما ان الجدار يستند على بعض الغرف التي أشارت إليها تلك البعثة على أنها غرف للحراس.

كما أنها اشارت ايضاً أن تلك المساكن بنيت على مناطق مرتفعات صناعية ولكن بشكل أقل من ارتفاع المعابد، ومثال على تلك المساكن التي عثرت عليها البعثة الأميركية من جامعة بنسلفانيا عام1935, برئاسة ساريس جوردن (Cyrus Gording) في موقع تبة كورا الواقع في القسم الشمالي لديالى ضمن حدود تل حمرين وعلى الطرف الشرقي لمدينة الموصل (سعيد، 64:1988).

وقد اعتبرت هذه البعثة أن تبه كورا هو موقع أظهر تطوراً لمركز خطير في عصر فجر السلالات الثاني, فعرف مبانيها المتكونة من الجدران المستقيمة المبنية من اللبن, وقد بنيت عدة غرف من اللبن وبتشكيلة متنوعة بأبعاد متباينة عكست الحس العملي والجمالي في ذات الوقت، وفضلا ان الموقع احتوى على مجموعة من القبور التي كانت مقابرها مبنية من اللبن على شكل فتحات دائرية مبطنة بالحجر واحتوت داخلها مع جثث الموتى على قلائد ومجموعات ذهبية وخرز عربية غريبة كـ الأزورد والأختام والقدور وتلك القبور تعكس مكانة الشخص فهي تختلف باختلاف المكانة والقوة والامتيازات التي يمتلكها كل متوفٍ(سعيد،1988 :65) (الاحمد، 1975: 258) (كجة جي، 2002: 9).

ومن الجدير بالذكر أن التطور المعماري في العراق في تلك الفترة تحديداً كان عبارة عن تفاعل كامل وحيوي بين المادة الأولية التي صنعت منها مواد البناء وبين طبيعة البيئة والمناخ، أذ كانت المادة الطينية الاوفر والأكثر اقتصادياً والاقل كلفة والأكثر قدرة على التطوير والتشكيل، كما أن الكثافة النوعية لطين الأرض المحيطة بالبناء أو طين البناء المضغوط باليد أو بالقالب لا تختلف إلى درجة كبيرة عن بعضها وهذا ساعد على خلق توازن في كتل البناء وإدامته، فالطين الجديد لا يحتاج إلى إزالة القديم بل إضافة طبقة جديدة أو عمل إدامة أو تغيير بسيط مما ساعد في عدم اندثار جزء كبير من تلك المباني(مورتكات، 1975: 64).

ووصل التطور العمراني في عصر فجر السلالات الثالث إلى ذروته, فكان هناك ازدهار وتطور كبير في المدن التي شهدت نمواً جوهرياً واتساعاً بمرور الوقت, وهذا ما أثبتته بعثة المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو في منطقة ديالى عام 1937م، وقد كشفت تلك البعثة إلى أن ما تم استنتاجه من تطور عمراني في تلك المدة كان واقعياً من خلال ما تم اكتشافه من دلائل(Saggs, 1995: 28-29).

ثالثا : عمارة المقابر.

وأشار فرانك فور (Fronk for) أن التطور الثالث لعصر فجر السلالات كان أكثر ما يميزه هو الاهتمام الكبير ببناء المدافن الصخرية ذات الأقبة أو العقادة القبوية، وهي كانت شديد الشبه إلى حد كبير بالمقابر الملكية في أور وهذا يدل على بالغ الاهتمام في تلك الفترة بالحياة الأخرى والأساطير المرتبطة فيها من جهة, ومن جهة ثانية فهو دليل على تبادل الثقافات والعمران بين دول العراق الجنوبية والشمالية عن طريق عوامل متعددة قد تكون الهجرات أو التجاور أو التجارة(Khofoyge, 1998).

وفضلا ان الموقع احتوى على مجموعة من القبور التي كانت مقابرها مبنية من اللبن على شكل فتحات دائرية مبطنة بالحجر واحتوت داخلها مع جثث الموتى على قلائد ومجموعات ذهبية وخرز عربية غريبة كالأزورد والأختام والقدور وتلك القبور تعكس مكانة الشخص فهي تختلف باختلاف المكانة والقوة والامتيازات التي يمتلكها كل متوفٍ(سعيد، 1988: 65) (الاحمد، 1975: 258) (كجة جي، 2002: 9).

ولو اعتبرنا ان عمارة القبور او الموتى من خلال ما تم التوصل اليه في داخلها هي أعظم منجزات عصر فجر السلالات، فإن الكتابة المسمارية هي السجل المتطور الذي دون العديد من المنجزات الحضارية فالكتابة هي أعظم اختراعاً وتطوراً في حضارة تلك الفترة, لا بل هي السمة المميزة لعصر فجر السلالات، وقد عثر على فلسفات آثاريه بالخط المسماري في تل أجرب وتل أسمر وتل تبه كور، وقد كانت تلك المكتشفات مكتوبة باللغة السومرية و الأكدية والأخيرة التي هي الأكثر انتشاراً في تلال حمرين كانت متفرعة إلى لغتين البابلية والآشورية (الكتابة، 1985: 221-241).

وهو ما ذهب اليه باقر قائلاً ان الكتابة هي نتيجة قيمة للتطور العمراني لاسيما حاجة المعابد والكهنة لتدوين تنبؤاتهم الفلكية وشؤون الآلهة والقرابين، بالإضافة إلى التطور الذي شمل الحياة الاقتصادية، وعليه أصبحت الكتابة هي حجر الأساس لتوثيق أحداث تلك الفترة التاريخية والجوانب السياسية المهمة إضافة إلى الجوانب الفنية والاقتصادية(باقر، 1979: 242), وبناءً على ما تقدم يمكننا القول أن الازدهار العمراني يكون معه التقدم والتطور، ويؤدي إلى توثيق المنجزات في هذا الجانب وبشكل واسع(Rothmon, 2002: 201).

ولم يكن التطور متوقفاً على الجانب العمراني في عصر فجر السلالات بل كان شمل التطور الكثير من الجوانب المهمة لحياة سكان وادي الرافدين وخصوصاً الجوانب الفنية والاقتصادية شديدة التعلق بالجانب العمراني (Rothmon, 2002: 202).

وخلاصة القول فإن العمارة أو التطور العمراني في بلاد الرافدين لم يأت في ليلة وضحاها بل كان نتيجة منطقية وحتمية للتراكم المعرفي لسكان تلك المنطقة والموروثات العلمية والتقنية التي عملوا على تطويرها فلا يمكن بناء سقف أو جدار دون اساسات من هذا المنطق جاء تطور فن العمارة عبر سلسلة من التحولات التاريخية ذات العلاقة بتطور الأسلوب والثقافة والتنمية والفكر الإنساني, ويبدو انها جاءت ناتج عن توارث حضاري لأجيال متعاقبة وأجناس مختلفة اختلطت مع بعضها تناقلت موروثاتها الحضارية وامتزجت فيما بينها لتنتج كل تلك المعطيات الحضارية المعمارية التي سبق ذكرها (Soggs, 1995: 200).

الخـــــاتمة

تميز عصر فجر السلالات بطابع معماري متميز اذ ادت العمارة دورا في ترسيخ الطابع المركزي في الحكم فضلا عن تأثرها بالجانب الديني وتأدية الوظائف الدينية فضلا عن تطور النحت بما يجعله متميزا من خلال اغناء المنحوتات برسوم وتشكيلات كثيرة الامر الذي جعله طابعا مستمرا للمنحوتات في تلك المدة فضلا عن تزيين المنحوتات بالأحجار سيما وان المادة الخام التي نحتت عليها كانت مميزة بذاتها وهو ما وثق البعد التاريخي لمنطقة الدراسة لحقبة الالف الثالث قبل الميلاد.

وشهد عصر فجر السلالات الكثير من التحولات او التحرر ان صح التعبير من خلال استخدام الطابع التخيلي في الزخارف مما جعل الزخارف اكثر تميزا واكثر ايرادا للمعلومات من خلال ما جسدته من صور ووقائع حفظت ليومنا هذا من خلال ما اشادت به البعثات التنقيبية وما حصلت عليه في موقع الدراسة لحقبة الالف الثالث قبل الميلاد

المصادر والهوامش

- أنطوان مورتكات، الفن في العراق القديم، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد، 1975.
- أوسام بحر جرك، الزقورة ظاهرة حضارية مميزة في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، 1998.
- ثجيل كمال عبد الرزاق، الخصائص التخطيطية والتصميمية للمباني والمستوطنات الطينية في العراق.
- سامي سعيد الأحمد، السومريين وتراثهم الحضاري، بغداد، 1975م.
- صباح اسطفيان كجة جي، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين، بغداد، 2002.
- صباح اسطفيان كجة جي، الصناعة في تاريخ وادي الرافدين، بغداد، 2002.
- صموئيل نوح كريمر، السومريين، بيروت، ط2، 1992
- طه باقر ، معابد العراق القديم ، مجلة سومر عدد 3 ، 1979.
- الكتابة ، حضارة العراق، ج1، 1985.
- محمد طه الأعظمي، معبد أي– أنا في نفر، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآثار ، رقم الآثار /1998.
- موريس لمبرت، عصر ما قبل سرجون، ترجمة فرج بصمة جي، مجلة سومر، ج1، 1953
- مؤيد سعيد، الاثار وإعادة تقسيم تاريخ العراق ، آفاق عربية، 807، الثالثة والعشرون ، 1988 .
- هيديو فوجي، تقرير أولي عن تنقيبات البعثة الأثرية اليابانية في سد حمرين، مجلة سومر 1979 فوجي، التنقيبات اليابانية في حمرين التقرير الأول رقم (2) عن الحملة الآثارية في تل الكبة وصنكور، مجلة سومر ، عدد40، 1980.
- Ann Searight , The British school’s excavation team team relax out side the dig house at Nimrud, 1963, London, 1963.
- Bwlon, Peasnoll and Mitchells Rothon the Iraq’s Earliet town . London, 1999.
- H.W.F. Saggs , People of the past Babylonion 1995.
- M.S Rothmon, The Evolution of small prelvstoric center in northern in Iraq, Philephia, University of pernsy Lvanina museum of ar choeology and an thropology 2002, .
- Sculplures of the therd milannium from Tell Asmar and Khofoyge , London, 1998.
- T . Jacabsen , godor worshipper, University of Chicago , 1984.
- t.Schipper friedrich , The prote ctionand preser Vation of Iraq’s Archaeologieca heritag, spring 1991 – 2003.
- Van Marc, A History of the Ancient Near East 3000 – 323 BC , London, 2004.